مناجاة الارواح

(تابع ما قبلهُ)

رأى القراء في ما نشرناهُ في الجزء السابق من اعمال اسايا بلادينو ما هو في حد الغرابة. وهذه الاعمال إما انها وهمية او حقيقية . فاذا كانت وهمية فلا شأن لها لان الحالم والهاجس والمستهوى يرون ما لا يُرى ويسمعون ما لا يُسمع ويلمسون ما لا يُلمَس اي يشعرون بمرئيات ومسموعات وملموسات ولا شيءَ امامهم منها . ولكن الاعمال التي عملتها اسايا او عُملت في مجلسها حقيقيةٌ لا وهمية لان الاشياء التي كانت تنقل من مكان الى آخر كانت تُرَى في المكان الذي نُقلت اليهِ بعد انتهاء الجلسة واضاءة الانوار . وحدث في جلسات أُخرى وصفناها في المنتطف منذ سنتين ان المائدة التي كانت في الجلسة تكسَّرت ورأى الجلوس كسرها بعد انتهاء الجلسة فلا محل اذاً للوهم

فكيف عُملت هذه الاعمال والجواب ان لذلك اربعة فروض . الفرض الاول ان اسايا نفسها عملتها بيديها او برجليها او بادوات متصلة بها . والثاني انها استحضرت روحاً من الارواح كما تدَّعي وكانت هذه الروح تعمل تلك الاعمال وهي متجسمة كما في اليد التي قبضت على ذراع احد الحضور او غير متجسمة كما في القوة التي كانت تحرك المائدة وتنقل الاشياء من مكان الى آخر غير منظورة . والثالث ان قوة كانت تخرج من اسايا وتعمل تلك الاعمال كما تخرج الكهربائية من البطريات . والرابع ان شخصاً آخر دخل الغرفة خلسةً وعمل تلك الاعمال

والفرض الاول وهو ان اسايا نفسها عملت تلك الاعمال منقوض لان الجلوس معها كانوا يمسكون يديها ورجليها . نعم انها في جلسات أُخرى احتالت وعملت اعمالاً خدعت بها بعض الجلوس معها او ارادت خداعهم ولكن الجلوس معها في هذه النوبة كانوا من ابرع الناس في كشف الحيل والاعمال التي تعمل بخفة اليد وقد أكَّدوا لكلهم انها لم تعمل شيئاً من هذا القبيل ولا حاولت ذلك الاَّ مرة واحدة . ولم يكن معها ولا حولها ادوات يمكنها ان تحرِّكها خلسةً فانتفى الفرض الاول من هذه الجلسات ولو لم ينتفِ من جلسات أُخرى في اماكن أُخرى

والفرض الثاني انها استحضرت روحاً من الارواح او ان روحاً من الارواح حضرت من نفسها وهي التي عملت تلك الاعمال متجسمة او غير متجسمة . وهذا ما تدَّعيهِ اسايا ولكنهُ

مخالف لاختبار الناس بنوع عام لا نؤيده الا اخبار قليلة غير موثوق بها . ولا نقول انهُ محال لذاته ويمكن مخالفته لمألوف . وقلة الادلة على اثباته وعدم الاضطرار الى فرضهِ اذ امكن فرض اسباب أخرى غيره . وكون اعمال هذه الروح مخيفة صبيانية في الغالب بعيدة عما ينتظر عملهُ من الارواح ونحن في اشد الحاجة الى مكاشفتنا بامور جليلة . وادعاء كثيرين انهم استحضروا ارواحاً مثل حلد وعملوا الاعمال الغريبة بواسطتها ثم اعترافهم بانهم كانوا كاذبين في ادعائهم محتالين في اعمالهم . كلُّ هذه الامور تحمل على الترجيح ان هذا الفرض غير صحيح وانهُ لم يكن هناك روح متجسمة ولا غير متجسمة

والفرض الثالث ان قوةً تولدت من اساليا وعملت تلك الاعمال ولو على غير معرفتها كما تتولد الكهربائية من المعادن والحوامض في البطريات الكهربائية . وهذا الفرض وجيه وفيهِ يبحث الآن جمهور من العلماء وبهِ يعللون كل الخوارق مثل مناجاة الارواح وانتقال الافكار والاستيواء وما اشبه . ويقولون ان هذهِ القوة تظهر في بعض الناس ولا تظهر في غيرهم لاسباب نجهلها الآن ومن المحتمل اننا نصير نعلمها ونستطيع اظهارها في الجميع . والذين تظهر فيهم يستطيعون حصرها في زاوية غرفة او نحوها فتفعل طوع ارادتهم او على ضد ارادتهم . وهي كامنة في كل انسان كما ان الكهربائية كامنة في كل ذرة من ذرات المادة ومتى عرفنا كيف نظهرها ونستعملها استطعنا عمل امور كثيرة بواسطتها كما نستطيع عمل امور كثيرة بالكهربائية

وقد الَّف المسيو اميل بيراك مدير كلية ديجون كتاباً جديداً في هذا الموضوع رجَّح فيهِ وجود هذهِ القوة وقال انهُ انتبه وعمرهُ اربعون سنة الى انهُ يستطيع ان يجذب الناس اليهِ فيجرَّد الاشارة اليهم بيديهِ ونوَّم مرةً رجلاً جالساً في قهوة ولم يكن الرجل عارفاً بوجودهِ . ونقل افكارهُ من مكان الى آخر . وهو لا يعلم كيف وجدت هذه القوة فيهِ ولكنهُ رأى بالامتحان انها تقوى فيهِ وهو في حال الصحة والنشاط وتضعف وهو في حال المرض والضعف وقال في هذا الصدد ما ترجمتهُ

كنت مرة في جنوبي فرنسا مع بعض الشبان ودار الحديث على الاستيواء فطلبوا مني ان اجرب التنويم فيهم بتجربتهِ حسب طريقة الدكتور موتن وهي وضع راحة اليد تجاه قوح الكتف ومحاولة جذب الشخص الى الوراء بها فلم يتم احد منهم . واقترب منا حينئذٍ رجل عمرهُ نحو ستين سنة وسألنا عما نحن فاعلون فلما اخبرناهُ قال «كنتُ سخافة وقلة عقل» فطلب مني الشبان أن اجرب ذلك فيهِ فرضي ولم أكن اظن انني انجح في تنويمهِ ولكنني نجحت على غير

ما كنت انتظره انجذب الرجل اليّ حتى كاد يفقد موازنته ويقع على الارض وقال اني كنت اجذبه بشبابه مع اني لم المسهُ قط . ثم استهويته وصرت آمره ان يفعل كما اشاء واشلّ عضلاته او اقبضها حسب رغبتي فارتعب جدًّا ولم يصدق ان تتخلص من تلك الحالة حتى ركض من امامي هاربًا . ورأيتني في اليوم التالي عن بعد فلما وقعت عينهُ عليّ لجأ الى الفرار . وعدت الى بلدي بعد شهر من الزمان ورأيته بين جماعة من اصدقائه وذكرت ما فعلتهُ فطلب الحضور مني ان امتحن ذلك ايضًا فيه فابى وما زالوا يتوسلون اليه حتى سأم مكرهًا ولكنني لم استطع ان أؤثر فيه هذه المرة وكنت قد أصبت في اليوم السابق بدوسنطاريا اضعفت قواي ولكن هذا السبب لم يخطر ببالي حينئذٍ . وبعد سنة من الزمان عدت الى ذلك البلد وكنت على تمام الصحة وامتحنت قوتي في هذا الرجل فتأثر جدًّا كما تأثر في المرة الاولى

فاذا ثبت ان قوًى مثل هذه تظهر في بعض الناس فهي حرية بان يبحث العلماء فيها بحثًا علميًّا مدققًا كما بحثوا في الكهربائية وخواص الاجسام الطبيعية . الاّ ان ذلك لا يثبت ان اسايا تعمل اعمالها بقوة مثل هذه اذا امكننا ان نعلل اعمالها بالتخيل واحد خلصة الى الغرفة التي تعمل اعمالها فيها وهو الفرض الرابع المذكور آنفًا وقبل الافاضة فيه نذكر طرفًا من تاريخ هذه المرأة

هي ابنة فلاح ايطالي ولدت سنة ١٨٥٤ ولم تتعلم شيئًا وهي الآن امية لا تستطيع ان تكتب ولا ان تقرأ وكل ما تستطيعهُ من هذا القبيل انها تكتب اسمها . وتدّعي انها كانت خادمة في بيت يشتغل اهلهُ بمناجاة الارواح ودعيت مرةً لرسم دائرة في مجلس من مجالسهم فظهرت حينئذٍ مظاهر غريبة جعلت الحضور يقولون انها وسيط لظهور الارواح فخافت من ذلك . ثم تعرّفت برجل شجعها على اظهار نفسها فكتبت الى الاستاذ لمبروزو سنة ١٨٨٨ تستدعيه لامتحانها فامتحنها بعد ثلاث سنوات واقتنع ان اعمالها صحيحة لا غش فيها وكان معهُ الاستاذ طمبوريني فلم يقتنع اقتناعهُ . ولما شاع أن لمبروزو اقتنع بصحة اعمالها قصدها العلماء وجلسوا معها يمتحنون اعمالها فجلست ١٢ جلسة في ميلان ١٨٩٢ حضرها الاستاذ شيابرلي الفلكي والاستاذ ريشه الفيزيولوجي وغيرهما من الاساتذة والاطباء فقرروا ان كل الاعمال التي عملت والنور كاف ليست من اعمال الشعوذة وكذا بعض الاعمال التي عملت والنور غير كافٍ وان اليد التي كانت تظهر من وراء الستارة هي يد انسان حتمًا . ولم يوقع الاستاذ ريشه ذلك التقرير بل كتب تقريرًا آخر قال فيه ان مراقبة اسايا لم تكن دقيقة وانهُ لا يمكنهُ القطع بانها لم تخدعهم او بانهم هم لم يخدعوا

ثم جلست ٤٠ جلسة في ورسوستة ١٨٩٣ و ١٨٩٤ حضرها ٢٠ من المحققين فقال ثلاثة منهم ان اعمالها خداع في خداع وقال عشرة ان الاعمال عملت بقوة خارقة العادة وقال سبعة ان بعضها خارق العادة وبعضها عادي او فيه خداع ومال اثنان الى رأي الثلاثة الاولين

ودعا الاستاذ ريشه السراوليفر لدج والمستر ميرس سنة ١٨٩٤ الى حضور بعض الجلسات ثم حضرها الاستاذ سدجوك وزوجته فاقتنع السر اوليفر لدج والمستر ميرس بان بعض الاعمال من الخوارق واسماء مؤلاء العلماء معروفة لدى قراء المقتطف وكلهم ميالون الى تصديق الغرائب

وسنة ١٨٩٥ دعيت اسايا الى كمبردج ببلاد الانكليز فنعت الحضور من الشمس في الظلام كأنها خافت ان يكتشفوا الشخص الذي كانت يده تعمل الاعمال. ولما لم تستطع ان تعمل اقل عمل من الاعمال الخارقة وهم يراقبونها جيداً تركوا المراقبة وتركوها تعمل ما تشاء ووجهوا انتباههم الى كشف طرق الخداع التي كانت تخدعهم بها وقرروا اخيراً انهم استدلوا استدلالاً قاطعاً على وجود الخداع في بعض الاعمال واستنتجوا وجوده في البعض الآخر استنتاجاً وانهُ لم يحدث ما يوجب فرض قوة خارقة العادة في كل الاعمال التي عملت حينئذٍ

ولما نشر هذا التقرير أعمل امر اسايا وحسبت من جملة المشعوذين الخادعين ولكن المسيو كيل فلامريون والاستاذ مورسلي والمسيو كوريه كتبوا عنها واثبتوا وجود قوة خارقة العادة تظهر منها. وجربت التجارب التي وصفناها في الجزء التاسع والعاشر من سنة ١٩٠٧ وترجح لدى بعض الباحثين في امرها حينئذٍ ان اعمالها صحيحة لا غش فيها وهذا الذي جعل جمعية المباحث النفسية ترسل لجنة اليها الى نابلي لتمتحنها فيها كما تقدم

هذا وان من يقرأ وصف اعمال هذه المرأة يجد كأنها تستغرب ما تراهُ في مجالسها او تخشاها من الغفلة وقلة الانتباه وكأن الشخص الذي يعمل الاعمال متخفياً يهزأ بهم ويعجب من سخافة عقولهم ويضحك بهم افعالاً تدلُّ على استخفافهِ بهم

ولذلك نرجح ان شخصاً يدخل الغرفة متخفياً اما من الباب بعد ان يفتحهُ بمفتاح من الخارج لانهُ لم يذكر ان الباب يقفل ويمنع فتحهُ واما من السقف او من مكان آخر وراء الستارة وهو لابس ثياباً سوداء او صابغ جسمهُ كلهُ ما عدا يديهِ بصبغ اسود فلا يرى في الظلام ولا اذا كان النور ضئيلاً وعلى راحتيهِ كفان اسودان ينزعهما احياناً فتريان جيداً او يلبس بهما كفين ابيضين وهذا سر انطباع الاثر في الطين وعدم ظهور خطوط الجلد في الاثر لانهُ كان لابساً كفيهِ واعمالهُ تدلُّ على ذلك وعلى انهُ يهزأ بالحضور فيجذب شعر رؤوسهم

ويخرج مناديلهم من جيوبهم ويفرك اذانهم ويدوس على اقدامهم ويقرصهم ويعضهم باسنانه وقد قبض الدكتور توي مرةً على اليد الخارجة من الستارة وشعر انهُ قبض على يد حقيقية

ورب معترض يقول ان اساليا لا تختار الغرفة التي تظهر اعمالها فيها بل يختارها المستحضرون انفسهم فكيف يتيسر لها ان تجعل فيها مدخلاً للشخص المشترك معها. والجواب ان ذلك سهل جدًّا في اوربا ولا يصعب على صاحب فندق ان يتفق معها على ذلك مقابل جعل قليل لاسيما وان امتحان اساليا في فندقهِ وذكر اسمهِ في الجرائد والمجلات والتقارير العلمية يشهرهُ شهرة ذات قيمة وهي تكتسب من هذه الاعمال لانها تنقد مبلغاً كافياً من المال واذا كشف امرها فالاثم ليس عليها بل على الذين انخدعوا بها لاسيما وان الشخص الذي يشاركها في هذه الاعمال يكاد يقول للجلوس افتحوا عيونكم وانظروني او اقبضوا عليَّ واكشفوا امري ثم انهُ يدفعهم عنهُ ويخمشهم ويعضهم لكي لا يقبضوا عليهِ ولكن يجب ان لا يبالوا بخمشهِ وعضهِ بل ان يقبضوا عليهِ ويظهروا امرهُ وما حاجة الروح الى العض اذا استطاعت ان تعود روحاً وتختفي كما كانت قبل ان تجسمت. وبلادة اولئك العلماء اغرب من مهارة اساليا في غشها لم فقد وضعوا كرسيها مرةً على آلة كالميزان ليروا هل يزيد وزنها اذا رفعت المائدة مثلاً فوجدوا ان وزنها زاد برفعها المائدة فاستدلوا انها هي التي رفعتها ولكنهم كانوا مخطئين كدين انها لم ترفعها بيديها ولا برجليها فاستنتجوا ان القوة التي صدرت منها ورفعت المائدة تأثرت من ثقلها واثرت في الميزان الذي تحت كرسيها ولا ندري لماذا لم يستنتجوا ان رجل الشخص الذي رفع المائدة اصابت طرف الآلة فاثر بعض ثقلهِ فيها

ويؤيد ذلك كلهُ انهُ لما دعيت اساليا الى كمبردج ببلاد الانكليز وامتحنت قوتها حيث لا تقدر ان تخدع الجلوس معها لم تستطع ان تعمل اقل عمل خارق وكل ما استطاعتهُ انها حاولت بعض الشعوذات فلم تنجح فيها. ومعلوم انهُ اذا ثبت الخداع في عمل واحد جاز لنا ان نحمل سائر الاعمال على الخداع لان من يستطيع ان يعمل عملاً صحيحاً لا يلجأ الى عمل كاذب يفسد عليهِ العمل الصحيح

وحبذا لو اغريت اساليا بالمال لكي تكشف سر اعمالها. وهذا لا ينفي وجود قوة في بعض الناس تؤثر في غيرهم بل هذه القوة موجودة ومعترف بها ولكن لم يقم دليل ولا شبه دليل على انها تجسم بصور روؤس وايدٍ فتمض وتقبض وتقرص وتخمش الاَّ الادلة المشار اليها آنفاً وما ماثلها فاذا قامت ادلة اخرى تؤيد ذلك وتثبتهُ ثبوتاً ينفي كل ريب فيكون عالم الارواح اغرب من عالم الاحياء واعنف